بسم الله الرحمن الرحيم

سورة السجدة

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

هذه هي سورة السجدة، وهي سورة مكية، وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان يقرؤها في صلاة الفجر من يوم الجمعة في الركعة الأولى، ويقرأ في الركعة الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١].

والمعنىٰ لهذه الآية: ﴿تَنزِيلُ﴾ هذا ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو القرآن ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وبعد أن نفت هذه الآية عن القرآن الكريم الشك، يؤكد ربنا أنه الحق من عنده، فيقول جل وعلا:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾

أيعترفون بالقرآن ويصدقون !! ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ إن محمدًا ﷺ ﴿ٱفْتَرَىٰهُ ۚ﴾ وألفه من عند نفسه؟ لقد كذبوا حينما قالوا: إنه افتراه ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أُنْزِلَ عليك ﴿لِتُنذِرَ﴾ تخوف به ﴿قَوْمًا﴾ من عذاب الله ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ بمثل هذا القرآن، ولا بغيره سواك.

فأنذرهم؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ الحق، فيؤمنون، ويعملون بموجبه.

وهكذا، ثبتت نبوة محمد ﷺ.. وثبت أيضاً أن القرآن من عند الله، لذلك بدأت السورة تعرفهم بالله عز وجل، حيث تقول الآيات:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾

أي: هو ﴿ٱللَّهُ﴾ الواحد الأحد ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ بقدرته سبحانه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ذاتًا وصفاتًا ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ ذاتًا وصفاتًا ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ذاتًا وصفاتًا ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ سبحانه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به.

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ﴾ **أي**: غيره ﴿مِّن وَلِىٍّ﴾ يلي أموركم، ويتولىٰ شؤونكم ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم إلَّا بإذنه عز وجل.

بعد كل هذا: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ وحدانية الله وعظمته، وقدرته فتؤمنون؟

وهو سبحانه الذي:

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾

أي: أنه كما خلق الخلق فهو يدبر أمرهم: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ كلَّه في ملكوته كلِّه على وجه الإتقان ومراعاة الحكمة منزلًا له ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: يتنزَّل أمره من أعلى السماوات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة مدة الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ أي: ترفع الأعمال إلى ديوانها ويرجع ﴿إِلَيْهِ﴾ أمر الفصل والحكم في هذا الملكوت ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ من سنوات الدنيا، هذا اليوم: هو يوم القيامة.

الذي خلق هذه الأكوان، والذي يدبر أمور هذا الملكوت:

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾

يعني: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإله الواحد القادر، الموصوف بما سبق هو الموصوف بهذه الصفات كذلك:

أولًا: هو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ **أي:** ما غاب عن العباد وما شاهدوه.

ثانيًا: هو ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بخلقه، فهو عزيز في رحمته، رحيم في عزته، وهذا غاية الكمال.

ثالثًا: هو ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ خلق ﴿كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾.

رابعًا: ﴿و﴾ هو الذي ﴿بَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ وهو آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ **أي:** ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ نطفة ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ **أي:** مَني ﴿مَّهِينٍ﴾ ضعيف.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ صنعه بقدرته ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ **أي:** جعله حيًّا حساسًا، بعد أن كان جمادًا.

خامسًا: ﴿و﴾ هو الذي ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ لتسمعوا كلام الله ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لتبصروا آيات الله ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ لتعقلوا وحدانية الله.

ولكن ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الله على هذه النعم!! حقًّا.. ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ إنهم: كفروا بالله، إنهم: أنكروا البعث..

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لهم: لابد من الموت، وسوف ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ لقبض أرواحكم، حينما تحين آجالكم وتنتهي أعماركم في الدنيا.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ الذي خلقكم ﴿تُرْجَعُونَ﴾ حين يبعثكم ليحاسبكم على ما قدمتم.

ولمَّا بيّن ربنا أنهم إلى ربهم راجعون، أتبعه ببيان حالهم عندما يرجعون.. فقال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

أي: ﴿وَلَوْ﴾ أنك ﴿تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ حين العرض والحساب ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ من الذل والندم والحسرة، وهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ساعتها يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكرنا قبل ذلك من أمر البعث ﴿وَسَمِعْنَا﴾ الآن ما نصدق به رسلك فيما

كذبناهم فيه بل يقولون: يا ربنا ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلىٰ الدنيا مرة أخرىٰ ﴿نَعْمَلْ﴾ عملًا ﴿صَٰلِحًا﴾ ننتفع به، ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ مصدقون الآن بالبعث والحساب، وقد كَذَبُوا.. !! إذْ لو ردّوا إلىٰ الدنيا لعادوا لمَا نهوا عنه.

ولذلك لن نعيدهم، فقد سبق القول منيٰ: أنهم إليها لا يرجعون.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ كما أننا ﴿لَوْ شِئْنَا﴾ هدايتهم من البداية ﴿لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ﴾ منهم ما عندنا من اللطف في الدنيا لتختار ﴿هُدَىٰهَا﴾.

﴿وَلَٰكِن﴾ لم نفعل معهم ذلك، حيث ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ بسبب علمي أنهم سيختارون الكفر والتكذيب والضلال أنه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ المكذبين من الصنفين ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

ونقول لهم علىٰ سبيل التقريع والتوبيخ: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ﴾ متعمدين ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ الذي أنتم فيه.

﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ **أي:** عاملناكم بما تستحقون.

﴿وَذُوقُوا۟﴾ أيضًا ﴿عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الدائم في جهنم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي والذنوب، والتكذيب في الدنيا.

وإذا كان هؤلاء لإلفهم بالباطل، يكفرون بآيات الله..، فهناك مَن يؤمن بها، يقول الحق تبارك وتعالىٰ:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

أي: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الدالة علىٰ الوحدانية والقدرة، وصحة البعث.. الموصوفون بهذه الصفات:

الأولى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾ أي: بهذه الآيات ﴿خَرُّوا۟﴾ لله ﴿سُجَّدًا﴾ شكرًا على نعمة الإسلام، وإعلانًا لطاعتهم لربهم.

الثانية: ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: نزهوه سبحانه عن كل نقص.

الثالثة: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن السجود لله، والتسبيح بحمده، بل هم خاشعون له، متواضعون لجنابه.

الرابعة: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ في فرشهم، بسبب قيام الليل طاعة لربهم.

الخامسة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ ويعبدونه ﴿خَوْفًا﴾ من غضبه ﴿وَطَمَعًا﴾ في مرضاته سبحانه.

السادسة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله، وتقربًا إليه.

وعن جزاء هؤلاء يقول ربنا تشويقًا:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

أي: ﴿فَلَا تَعْلَمُ﴾ أية ﴿نَفْسٌ﴾ مقدار، ولا نوع ﴿مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن﴾ جزاء حسن، هو ﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ تستقر العين عنده، ولا تلتفت إلى غيره؛ لأنه: مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال قلب بشر ﴿جَزَآءًۢ﴾ لهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من الصالحات.

ما رأيكم ـ بعد هذا الحديث عن الكافر والمؤمن ـ هل يستوي هذا وذاك؟

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾

طبعًا لا يستوون..!! إذن فمصير كل فريق:

أولًا: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

الله.. ما أَنْعِمْ به من جزاء!! وما أحسن به من مصير!!

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من هؤلاء، إنه نعم المولى ونعم النصير.

ثانيًا: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا

وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾

يعني: ﴿وَأَمَّا﴾ مصير ﴿ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ وكفروا وخرجوا عن طاعة الله.. ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ﴾ أي: منزلهم ومسكنهم ﴿ٱلنَّارُ﴾ يعذبون فيها.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ﴾ تضربهم النار ـ كما روي ـ بلهيبها، فيرتفعون إلىٰ طبقاتها العليا، حتىٰ إذا اقتربوا من أبوابها، وأرادوا الخروج، ضربهم لهيبها إلىٰ أسفل، و ﴿أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ أي: في قعرها.

وليس هذا فقط، بل ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ توبيخًا وتحسيرًا ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ بها، حينما أخبركم عنها، وخوَّفكم منها رسلُنا.

﴿و﴾ مع ذلك ﴿لَنُذِيقَنَّهُم﴾ في الدنيا أيضًا ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ الذي هو: القلق، والاضطراب، والأزمات، والمشاكل والهموم ﴿دُونَ﴾ أي: قبل ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم القيامة في جهنم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر إلىٰ الإيمان، وعن الفسوق إلىٰ الطاعة. وهؤلاء بعد تذكيرهم بالقرآن الكريم، وتهديدهم بعذاب الله دون أن يؤمنوا، ليسوا من الظلمة فقط، بل هم من أظلم الظلمة، يقول الله سبحانه:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

وهذا هو عين العدل معهم.

وإذا كنا قد آتيناك القرآن، فإنا ـ كذلك ـ آتينا موسىٰ التوراة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

المعنى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ **أي:** التوراة، كما آتيناك القرآن فكُذِّب، وأوذي.

﴿فَلَا تَكُن﴾ يا محمد ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ **أي:** من لقاء هذا التكذيب والأذىٰ من قومك، كما لاقىٰ موسىٰ عليه السلام.

﴿و﴾ قد ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ **أي:** كتاب موسى ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، كما جعلنا القرآن هدى للعالمين.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ **أي:** من بني إسرائيل، وهم الذين اهتدوا بالتوراة ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلىٰ ما في التوراة من دين الله وشريعته، وذلك عندما امتلكوا صفتين:

الأولىٰ: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ علىٰ طاعة الله، وعن معصيته.

الثانية: ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهي التوراة ﴿يُوقِنُونَ﴾ ولا يشكون.

أي: وسنجعل من أمتك أئمة يهدون الناس إلىٰ دين الله، إذا تحلوا بهاتين الصفتين.

هذا، وسيكون خلاف بين هؤلاء الدعاة إلىٰ الهدىٰ، وبين مَن يدعونهم إليه و﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

فيرفع شأن الدعاة إلىٰ الله ويجازيهم خير الجزاء، ويعاقب معانديهم، ومن يحاربونهم ويجازيهم أشد الجزاء.

وإذا كان ربنا عز وجل سيعذب المعاندين، فقد أعذر إليهم وأنذر، يقول الله تعالىٰ:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

يعني: ﴿أ﴾ غفلوا ﴿وَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ **أي:** يتبين لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ ودمرنا ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ كعاد وثمود وقوم لوط، وهم يعرفونهم، و ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ﴾ ويرون آثار دمارهم؟

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ علامات واضحات علىٰ وجوب الإيمان.

﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ المواعظ، فيتعظون، ويؤمنون؟!!

ولمَّا بين ربنا أن الإهلاك والضرَّ بيده، بيّن عقيبه أن الإحياء والنفع بيده أيضًا، فقال سبحانه وتعالىٰ:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

يعني: ﴿أ﴾ عموا ﴿وَلَمْ يَرَوْا﴾ آثار قدرتنا، ونفعنا لهم !!؟ فمثلًا: ﴿أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ﴾ بقدرتنا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ وهي اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾ أي: بهذا الماء ﴿زَرْعًا﴾ مختلف الألوان والأنواع ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ذلك، فيستدلون به على وحدانيتنا وقدرتنا،ويؤمنون؟

والأدهى من ذلك أنهم يعاندون..

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾

أي: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين استهزاءً ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ أي: النصر علينا، أو الفصل بيننا وبينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولونه لنا.

والجواب عليهم من رب العالمين:

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

أي: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ الذي تستعجلونه آت لا محالة وساعتها تؤمنون، ولكن ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾ أو تطلبون تأخير العذاب عنكم، فيقول رب العزة: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ فآمنوا خيرًا لكم..

يا حبيبي يا محمد.. إن لم يؤمنوا ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وبلغ فقط ما أنزل إليك من ربك ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ النصر عليهم، وهلاكهم، حيث ﴿إِنَّهُم﴾ أيضًا ﴿مُّنتَظِرُونَ﴾ النصر عليك وهلاكك.

وسترى بإذن الله في النهاية نصرك عليهم، وعلو شأنك، ورفع راية رسالتك، وهلاكهم أيضًا، فإن العاقبة ـ دائمًا ـ للمتقين. اللهم اجعلنا منهم واحشرنا معهم يا أكرم الأكرمين.

* * *